



بقلم : ا. عبد الحميد عبيد المصطفى
 رسوم : ا. عبد الشافي سيد
 اشراف : ا. حمدي مصطفى



كان أهل مدين قوماً صالحين ، غير مؤمنين ..
وكانوا يتصفون بعدد من الرذائل والنقائص
والصفات السيئة ، والخصال غير الحميدة ، التي تدل
على الخُبث ، والغش وعدم النقاء ..
كانوا قوماً مشهورين بالتجارة ، والبيع والشراء ،
لكنهم أيضاً اشتهروا بعدم الأمانة ، وانعدام الصدق ، في
تعاملهم مع الآخرين ..
كانوا قوماً يبخسون الناس أشياءهم .. فهم غير أمناء

أَوْ عَادِلِينَ فِي عَمَلِيَةِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ .. فَإِذَا بَاعُوا
أَحَدًا سَلْعَةً مِنَ السَّلْعِ ، سَرَقُوا مِنْهَا .. وَنَقَصُوا الْمِكْيَالَ ،
وَخَسَفُوا الْمِيزَانَ .. فَهُمْ بِذَلِكَ يَسْرِقُونَ وَلَا يُعْطُونَ
النَّاسَ حَقُّوقَهُمْ ..

وَإِذَا اشْتَرَوْا مِنْ أَحَدٍ سَلْعَةً مِنَ السَّلْعِ سَرَقُوا مِنْهُ ،
وَأَخَذُوا أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِمْ .

فَإِذَا اشْتَرَوْا زَادُوا وَأَخَذُوا أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِمْ ، وَإِذَا بَاعُوا
نَقَصُوا ، وَأَعْطَوْا النَّاسَ أَقْلَ مِنْ حَقِّهِمْ ..

وَكَانُوا إِذَا اشْتَرَوْا مِنْ أَحَدٍ سَلْعَةً سَاوَمُوهُ وَفَاصَلُوا
مَعَهُ ، حَتَّى يُخَفِّضُوا مِنْ ثَمَنِهَا ، وَيَشْتَرَوْهَا بِأَبْخَسِ
ثَمَنِ وَأَقْلَ سَعَرٍ ..

وَإِذَا بَاعُوا أَحَدًا سَلْعَةً زَادُوا فِي ثَمَنِهَا ، وَغَالُوا ،
فَيَأْخُذُونَ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِمْ .

وَكَانُوا يَعْتَبِرُونَ أَنَّ الْمَسَاوِمَةَ وَبَخْسَ الثَّمَنِ ، وَالسَّرِقَةَ
فِي الْمِيزَانِ وَالْمِكْيَالِ نَوْعًا مِنَ الشُّطَارَةِ

والمهارة في التجارة ، وليست سرقة يعاقب عليها

الله - تعالى - مرتكبها ، أشد العقاب ..

وقد أنعم الله - تعالى - عليهم ووسع لهم في
أرزاقهم ، وحياتهم ، لكنهم بدل أن يقابلوا نعم الله
بالشكر جحدوها ، وعبدوا غير الله تعالى ..

وكان نبي الله شعيب عليه السلام واحداً من أهل مدين ..
لم يكن غريباً عنهم ، بل كانوا أهله وعشيرته ..
لكن شعيباً عليه السلام لم يكن مثلهم ، ولم تكن به صفة
من صفاتهم المذمومة ..

كان شعيباً عليه السلام ينصف بالأمانة وحسن الحق ،
وتقوى الله ، وحب الخير للناس جميعاً ..

ولم يكن يعجبه أهل مدين في طريقة تعاملهم مع
الناس ، ولم يكن راضياً عن غشهم ، وبخسهم المكبال
والميزان ..

وقد أرسل الله - تعالى - نبيه شعيباً عليه السلام إلى قومه
من أهل مدين لهدايتهم ، وإبلاغهم رسالته ..

فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ دَعَا شُعَيْبٌ إِلَيْهِ قَوْمَهُ ، بَعْدَ أَنْ
عَرَفَهُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ ، هُوَ أَنْ أَمَرَهُمْ
بِعِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ،
وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ يَتَّجِهَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْخَلْقِ بِالْعِبَادَةِ ،
دُونَ سِوَاهُ ..

ثُمَّ لَفَتَ شُعَيْبٌ انْتِبَاهَ قَوْمِهِ إِلَى شَيْءٍ مُهِمٍّ ، يَحْدُثُ
فِي حَيَاتِهِمُ الْيَوْمِيَّةِ ، وَهُوَ بَخْسُهُمُ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ،



ونَقَصَهُمُ الْكَيلَ وَالْمِيزَانَ .. وَقَالَ لَهُمْ :

إِنَّ مَا تَفْعَلُونَهُ خَطَأٌ ، بَلْ هُوَ ضِدُّ الشَّرْعِ ، وَمُخَالَفٌ
لِلدِّينِ ، وَعِقَابُهُ أَلِيمٌ ..

قَالَ لَهُمْ :

- لَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ، لِأَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، حَيْثُ لَا تَنْفَعُ الْأَمْوَالُ ..

وَأَمْرُهُمْ أَنْ يُوَفُّوا الْكَيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْعَدْلِ ، وَلَا يَنْقُصُوا
النَّاسَ حُقُوقَهُمْ ، أَوْ يَبْخُسُوهُمْ أَشْيَاءَهُمْ .. وَالْأَ
يَتَعَمَّدُوا نَشْرَ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ ، لِأَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ
خَيْرٌ لَهُمْ وَأَبْقَى مِمَّا عِنْدَهُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ..

وَطَالِبُهُمْ شَعِيبٌ عليه السلام أَنْ يَرَاعُوا أُمُورَ الْعَدْلِ
وَالْأَمَانَةِ ، وَيَلْتَزِمُوا بِالشَّرَفِ وَالتَّزَاهَةِ ، وَطَهَارَةِ الْقَلْبِ
وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ ، فِي تَعَامُلِهِمْ مَعَ الْآخَرِينَ ..

وَحَذَّرَ شَعِيبٌ عليه السلام قَوْمَهُ مِنْ ظُلْمِ النَّاسِ ، لِأَنَّ ظُلْمَ النَّاسِ
سَوْفَ يَنْعَكُسُ عَلَيْهِمْ هُمْ أَيْضًا ، حَيْثُ تَشِيعُ الْفُوضَى ، وَيَعْمُ
الظُّلْمُ وَالْاضْطِرَابُ ، وَيَتَعَامَلُ النَّاسُ بِشَرِيعَةِ الْغَابِ ..

ثُمَّ نَصَحَهُمْ قَائِلًا :

- إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا .. أَنَا لَسْتُ مُوَكَّلًا عَلَيْكُمْ ، وَلَسْتُ حَفِيزًا وَلَا حَارِسًا عَلَيْكُمْ .. إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَيْكُمْ ؛ لِأُبَلِّغَكُمْ رَسُولَةَ رَبِّي ..

وَهَكَذَا بَلَغَ شُعَيْبٌ عليه السلام رَسُولَةَ اللَّهِ الَّتِي تَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ ، وَإِلَى الْعَدْلِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ ، وَعَدَمِ بَخْسِهِمْ أَشْيَاءَهُمْ ، أَوْ إِنْقَاصِهِمْ حَقُوقَهُمْ ، إِلَى قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ ..

فَمَاذَا كَانَ جَوَابُ قَوْمِهِ عَلَيْهِ ؟ !

لَقَدْ رَدَّ أَهْلُ مَدْيَنَ عَلَى نَبِيِّهِمْ بِسُخْرِيَةٍ وَتَهْكُمٍ ، فَقَالُوا لَهُ :

- مَا هَذَا الَّذِي تَقُولُ يَا شُعَيْبُ ؟ ! هَلْ صَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَتْرَكَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، لِنَعْبُدَ إِلَهَكَ ، الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ ؟ ! هَلْ صَلَاتُكَ تَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ الْأَشْجَارَ وَالنَّبَاتَاتِ ، الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا آبَاؤُنَا ؟ ! هَلْ صَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَدْخُلَ فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا ،

وَتَطَالِبُنَا أَنْ نَغَيِّرَ مِنْ سُلُوكِنَا وَعَادَاتِنَا فِي الْبَيْعِ
وَالشِّرَاءِ ۚ ۱۴ مَالِكَ أَنْتَ وَمَا شَأْنُكَ إِذَا كُنَّا نُرِيدُ أَنْ
نُنْقِصَ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ۚ ۱۴

لَا يَا شُعَيْبُ .. نَحْنُ لَا نَظُنُّ أَنَّ صَلَاتَكَ تَأْمُرُكَ أَنْ
تَتَدَخَّلَ فِي شُؤْنِ حَيَاتِنَا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ..
ثُمَّ أَصَافُوا قَائِلِينَ :

- نَحْنُ أَحْرَارٌ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي نَكْسِبُ بِهَا أَمْوَالَنَا ،
وَفِي الطَّرِيقِ الَّتِي نُنْفِقُ فِيهَا هَذِهِ الْأَمْوَالِ .. سَوَاءٌ
أَكَانَتْ هَذِهِ الطَّرِيقُ حَلَالًا مَشْرُوعَةً ، أَمْ حَرَامًا غَيْرَ
مَشْرُوعَةٍ كَمَا تَدْعِي يَا شُعَيْبُ ..
وَحَتَمُوا كَلَامَهُمْ بِقَوْلِهِمْ :

- لَوْ كُنْتَ عَاقِلًا حَلِيمًا رَشِيدًا يَا شُعَيْبُ مَا قُلْتَ لَنَا
هَذَا الْكَلَامَ ، وَلَا نَصَحْتَنَا بِهَذِهِ النَّصَائِحِ الْمُضْحَكَةِ ..
فَرَدَّ عَلَيْهِمْ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَدًّا حَلِيمًا بِقَوْلِهِ :

- إِنَّ مَا أُرِيدُهُ بِدَعْوَتِي لَكُمْ هُوَ إِصْلَاحُ أُمُورِ حَيَاتِكُمْ
عَلَى غَدْرٍ مَا اسْتَطِيعَ .. إِنَّ رِسَالَتِي إِلَيْكُمْ هِيَ



إصلاح ما فسد من أمور حياتكم الدنيا ،

وإعدادكم إعدادا صالحا للحياة الآخرة ، وهي أبقي
لكم ، حيث لا ينفع هناك إلا الإيمان والتقوى والعمل
الصالح ..

وأضاف شعيب عليه السلام ناصحا :

- يا قوم ، لا يحملكم عنادكم على تكذبي
ومخالفتي ، وعصيان أمري ، وعدم الاستماع لنصحي ،
لأن مخالفة الأقوام لأنبيائهم ، وتكذيبهم لهم دائما
تنتهيان بهم نهاية سيئة ..

وحذرهم قائلا :

- قد يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح ، أو قوم هود ، أو
قوم صالح .. لقد انتهت هذه الأقوام نهايات سيئة
وأبیدوا من الأرض ، نتيجة مخالفة أنبيائهم ، واعتقد
أنكم تعرفون النهاية المؤلمة التي انتهى إليها قوم لوط ،
لأن زمانهم ليس بعيدا عنكم .. يا قوم استغفروا الله
وتوبوا إليه من ذنوبكم ، وأعمالكم السيئة ..

فرد عليه القوم قائلين :

— يا شعيب إنك تقول كلاما غير مفهوم .. نحن لا نفهم ما تقوله .. ثم إنك بشر مثلنا ، فكيف تكون بيا كما تزعم ؟! ثم هددوه قائلين :

— يا شعيب إنك ضعيف فينا ، لم يؤمن بك إلا الفقراء والصُعفاء ، ولذلك لن نستطيع أن نتحدانا ، وتفرض دعوتك علينا ، ولولا أهلك وقومك لقتلناك رحما بالحجارة ، وما أنت علينا بعزيز .

فتعجب سبي الله شعيب عليه السلام قائلا .

— هل أهلى وقومى أعز عليكم من الله ؟! إن الله وحده هو الذى يجب أن تحافوه وتحشوه ..

فتحداه القوم قائلين

— اسمع يا شعيب ، إن لم ترحع عن دعوتك ، أنت ومن تبعك ، وتعودوا إلى ديسا ، فسوف نخرحك من أرض مدين ..

فحذره شعيب عليه السلام قائلا .

- إذا لم ترجعوا أنتم عن كفركم وصالكم فسوف

يحل عليكم عذاب الله تعالى ..

فتحداه القوم قائلين .

- لن يؤمن بك يا شعيب ، ولن تتبع دينك ، فإن كنت

صادقا في دعواك ، فأسقط علينا قطعة من السماء ..

وبدل أن يطلب القوم الهداية من الله ، طلبوا من

شعيب أن يسقط عليهم قطعة من السماء .. وهذا

يدل على شدة جهلهم و حماقتهم وعائهم ..

وهكذا لم يؤمن أهل مدين بسبيهم شعيب عليه السلام

وزادوا في كفرهم وصالهم ، فشاءت إرادة الله

- تعالى - أن يهلكهم بدورهم ، فأوحى - سبحانه -

إلى شعيب . أن يحرج بالمؤمنين معه من أرض

مدين ..

ونجى الله شعبا والمؤمنين به ، يما بقي الكافرون

في ديارهم ، فحل عليهم عذاب الله .. أدركتهم



صِيحَةً جَبَّارَةً فَصَعَقْتَهُمْ جَمِيعًا .. وَانْتَهَى أَمْرُ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ .. وَأَرْسَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - نَبِيَّهُ شُعَيْبًا إِلَى قَوْمِ
آخَرِينَ ، هُمْ « أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ » ، فَلَمَّا كَذَّبُوهُ وَعَصَوْهُ ،
أَهْلَكَهُمْ اللَّهُ - تَعَالَى - بِعَذَابٍ « يَوْمِ الظُّلَّةِ » .. أَرْسَلَ
اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِمُ الْحَرَّ الشَّدِيدَ ، وَيُقَالُ : إِنَّ مَوْجَةَ
الْحَرِّ اسْتَمَرَّتْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، حَتَّى غَلَّتِ الْمِيَاهُ وَاسْتَدَّتْ
حَرَارَتُهَا ..

فَلَمَّا اشْتَدَّ الْحَرُّ بِهِمْ ، دَخَلَ الْقَوْمُ إِلَى بُيُوتِهِمْ
يَحْتَمُونَ بِهَا ، وَلَكِنَّ الْحَرَّ دَاخَلَ الْبُيُوتَ كَانَ أَقْوَى
وَأَشَدَّ قَسْوَةً ، لِدَرَجَةِ أَنَّ الْقَوْمَ ، لَمْ يَكُونُوا قَادِرِينَ عَلَى
التَّنَفُّسِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ .. فَخَرَجَ الْقَوْمُ هَرَبًا مِنْ
الْبُيُوتِ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - إِلَيْهِمْ سَحَابَةً فَأَسْرَعَ
الْقَوْمُ يَحْتَمُونَ تَحْتَهَا مِنْ وَهَجِ الشَّمْسِ ، وَوَجَدُوا أَنَّ
الْجَوَّ تَحْتَهَا رَطْبٌ وَبَارِدٌ ، فَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، حَتَّى
تَجْمَعُوا كُلُّهُمْ تَحْتَ السَّحَابَةِ ..

وَأَرْسَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِمْ مِنَ السَّحَابَةِ نَارًا ،

فَأَحْرَقْتَهُمْ جَمِيعًا .. أَمْطَرَتِ السَّحَابَةُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ -
تَعَالَى - نِيرَانًا ، بَدَلُ أَنْ تُمَطِّرَ مَاءً ..
وَهَكَذَا أَهْلَكَ اللَّهُ « أَصْحَابَ الْأَيْكَةِ » كَمَا أَهْلَكَ
أَهْلَ مَدْيَنَ ، بِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ شُعَبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ..
(تَمَّتْ)



قصص الأنبياء



الكتاب التالي
أيوب
عليه السلام
أحرص على اقتنائه

رقم ١٤٧٥
تم توزيعه في ١٩٩٠-١٩٩١-١٩٩٢